مفكرة

للدفاع عن شرف فلسطين

.. واندفع « أبو جهاد » من بين حراسه ، في الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٣ تموز ، ورفع أصابع يديه الاثنين علامة النصر ، وصرخ أمام الصحافيين الاجانب : سننتصر ، سننتصر . لم يكمل كلمته الاخيرة ، فقد أردته ٤ رصاصات أطلقها حراسه من جيش بركات ، فأصابته في ظهره .

وضاح المرافق العسكري الفاشي في وجه الصحافيين الاجانب : ممنوع التصوير !

ولكن حدقات العيون كانت قد التقطت المشهد المفاجىء ، عند جسر الباشا ، لـ « أبو جهاد » مضرجا في دمائه .

لا حاجة لاجهزة تصوير .. فالصورة محفورة في الذاكرة ولن يمحوها الزمن .

● ● ●

مدفع هاون يضرب تل الزعتر .. كل قذيفة تحمل معها الموت والدمار الى النساء والاطفال والشيوخ . وفجأة يقع مشهد كأنه يحدث في أحد الافلام الخيالية : على بعد أمتار من المدفع ، تنشق الارض عن شبل صغير مقاتل يحمل بيده رشاشا ويفرغ جميع رصاصاته في طاقم المدفع .. وفي أقل من لمح البصر كان الشبل قد ابتلعته الارض ! بينما القائد العسكري الكتائبي يطلق صرخة هستيرية : « مات رومل ، مات رومل » ! وكان رومل هو الرامي على المدفع .

ويقال ان الشبل « انبثق » من خلال مدخنة صغيرة مهدمة الى سطح الارض ، بعد أن كان يختفي داخل هذه المدخنة لفترة من الوقت مترقبا الفرصة للدفاع عن أهله ورفاقه في المخيم . وعاد الى مخبئه بعد أن أدى واجبه تحت سمع وبصر .. .. وأنف جيوش العدوان الفاشي والصحافيين الاجانب !

لقد ضل السفاح الفاشي الذي اطلق على نفسه اسم « رومل » .. طريقه الى تل الزعتر كما ضل رومل الفاشي الالماني طريقه في الصحراء الغربية اثناء محاولته غزو مصر . ولم يكن مصير الاثنين سوى الهزيمة والعار .. والعدم .. و « مزبلة التاريخ » .

● ● ●

صيحة « أبو بطرس » لا تزال تدوي في اذان جميع جرحى مخيم جسر الباشا . وأبو بطرس هو يوسف الشافي الذي أصيب بجراح وكان في حاجة الى عملية جراحية . أخذوه بانتظار سيارة تنقله الى أحد المستشفيات ، ووضعوه في الموقع الامامي المواجه لحرج نابت — محور المزرعة . اشتد القصف وانهمرت حوله القذائف .

وقف « أبو بطرس » الذي نزف ٨ ساعات ، وقطع المصل المعلق في يده ، وأمسك الكلاشنكوف وهو يصيح « اصمدوا يا أبطال .. اصمدوا » . دماؤه اختلطت بالمصل . ووصل أبو بطرس الى باب المستشفى حاملا السلاح قبل أن يهوي ويختلط دمه بالمصل والارض ويردد عبارته الاخيرة « اصمدوا يا أبطال » .

● ● ●

ايفا ماركوسون ، ممرضة سويدية في تل الزعتر .. استشهد زوجها الرفيق يوسف محمد حمد « أبو نضال » مسؤول ميليشيا مخيم تل الزعتر ، وعضو قيادة منطقة بيروت في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يوم ١٢ حزيران الماضي .

كان الشهيد يتفانى في خدمة الجماهير ويضطلع بمهام كثيرة في العمل القتالي والجماهيري والطبي . أرملة الشهيد — الممرضة السويدية — حامل في شهرها الخامس ، وقد أصيبت بجروح بالغة اثناء القصف الهمجي للمخيم ، وبترت ذراعها اليمنى ، وأصيبت بكسر مفتوح في الساق يعرضها للغرغرينا .

وأجرى الصليب الاحمر الدولي اتصالات لنقلها من المخيم ولكنها رفضت .

كانت أمنيتها الدائمة أن تواصل رسالة زوجها الشهيد .

● ● ●

عناصر من الجيش الفاشي تسوق أمامها النساء والاطفال «الاسرى» من مخيم جسر الباشا الى حيث تقف شاحنات عسكرية سورية لتنقلهم الى مكان مجهول . اقتربت جماعة من الصحافيين الاجانب المدعوين لرؤية «القافلة الاسيرة» . كتب أحد هؤلاء الصحافيين ، فيما بعد ، يقول :

اقتربنا من احدى النساء . قلنا لها اننا صحافيون ، وطلبنا منها أن تحكي معنا . لم تسمع بقية كلامي ، فقد بصقت في وجوهنا ، وقالت « كلكم كلاب . انقلوا للناس ولخلق الله ... النسوان عما تدافع عن شرف فلسطين » !

محمد عثمان